الحزب الشيوعي العراقي والاحداث الجارية في العراق

كاظم حبيب

اتخذ الحزب الشيوعي العراقي موقفاً واضحاً وصريحاً من النظام الدكتاتوري في العراق في أعقاب انتهاء التحالف الذي أسفر بجبهة بين الحزب الحاكم والحزب الشيوعي العراقي، رغم أن [illegible] من [illegible] لا غير. وخلال الفترة الواقعة بين 1979 و2003 خاض الحزب الشيوعي نضالاً طويلاً وحازماً وقدم الكثير من الضحايا على طريق الخلاص من الدكتاتورية الغاشمة. وسعى خلال الفترة المذكورة إلى إقامة عدد غير قليل من التحالفات السياسية مع مختلف القوى السياسية العراقية ومختلف التيارات الوطنية من منطلق الحرص على إقامة الجبهة القادرة على الإطاحة بنظام الحكم. رغم ذلك، رغم أن بعض تلك التحالفات كانت هشة وشكلية لم تكن قادرة على مواصلة [illegible] تكمن في طبيعة الأحزاب ذاتها وفي طبيعة العلاقات المتشابكة ما بين مختلف الأحزاب إضافة إلى التدخلات الإقليمية والدولية في شؤون الأحزاب السياسية العراقية. ولم تنجح القوى السياسية العراقية في إقامة التحالف المنشود القادر على إسقاط النظام. وكان العجز في تحقيق ذلك سبباً لنشوء قناعة لدى الكثير من القوى السياسية بأنها عاجزة لوحدها عن تحقيق النصر على النظام الدموي، فدفعها الإحباط والشعور بالعجز إلى إقامة التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية والبريطانية لإسقاط النظام. واتخذ الحزب الشيوعي العراقي موقفاً واضحاً وصحيحاً من الحرب، إذ رفضها رغم أنه كان يريد الإطاحة بالنظام بقوى الشعب الخاصة لتجنيب [illegible] التي [illegible] بها الحركة السياسية العراقية والمجتمع العراقي بأسره في المرحلة الراهنة، ومع ذلك فالنصر الذي تحقق للشعب العراقي على أيدي الأمريكيين والبريطانيين يفترض أن لا يبخس الشعب حقه بأي حال. وخلال فترة التحالف مع القوى السياسية العراقية كان الحزب الشيوعي يكتفي في أغلب الأعم عن تقديم النقد العلني والجماهيري لما يحدث إزاء القوى الأخرى [illegible] النقد معه، خشية إذكاء الخلافات القوى في السلطة، وكان يعمد إلى ممارسة النقد الداخلي وعبر متكرر خلال [illegible]. ولم يكن هذا الأسلوب الذي مارسه الحزب بلا عقبات [illegible]، إذ غالباً ما كان يقود إلى العزلة عن الجماهير التي كانت ترغب في [illegible] توجيه النقد العلني الصريح كما لم تكن [illegible] بأن الحزب كان يمارس النقد السري أو داخل التحالف في حدود الاتفاقات. كل هذا التقليد في التحالفات والسكوت عن أخطاء الحلفاء [illegible] الحزب من الحركة الشيوعية العالمية في [illegible] من التحالف الكبير لحزب الشيوعي السوفيتي والدول الشيوعية والأحزاب والدول الاشتراكية الأخرى في الوقت الذي كانت قيادة الحزب الشيوعي العراقي وكوادر وأعضاء الحزب يدركون تماماً ويتلمسون السياسات الخاطئة التي كانت تمارسها القيادة السوفيتية على الصعيدين الداخلي والدولي وعلى الصعيد [illegible] العراق مثلاً، أو الأخطاء التي كانت ترتكب في السياسة الاقتصادية أو الحياة السوفيتية وإزاء المواطنين [illegible] والفساد الوظيفي والرشوة التي عمت الحياة هناك على قيادة الحزب والكادر والأعضاء السكوت عن تلك الأخطاء وعكسها بالنسبة إلى بقية الأحزاب الشيوعية عدم ممارسة النقد لها، وتحت حجج جمة مع تلك الأخطاء الجمة [illegible] الأخطاء والنقد [illegible] يمكن أن يخدم الدول الإمبريالية وسلطتها في الهجوم الإعلامي على الاتحاد السوفيتي وبقية الدول الاشتراكية، و[illegible] هذا الأمر إلى المزيد من الخراب الداخلي وإلى المصير الذي نعرفه جميعاً، وهو الانهيار من الداخل أساساً، أو تخلي الشعب السوفيتي والشعوب الأخرى في بلدان القسم الشرقي عن الدولة التي زعمت أنها كانت تمثلهم. وكانت الانتخابات [illegible] من [illegible] في العالم وعلى صعيد العراق برز هذا التقليد خلال فترة التحالف بين الحزب الشيوعي وحزب البعث العربي الاشتراكي الذي شارك في الحكم، رغم بروز صراعات داخل الحزب حول هذا الموضوع في هيئة تحرير الجريدة المركزية للحزب، علماً بأن الحزب كان يمارس النقد في القيادات الحاكمة وفي [illegible] ولكنها لم تكن [illegible] ولم يسمع بها الشعب. وقد طرح في الفترة الأخيرة من هذا التحالف [illegible] ممارسة النقد بطرق مختلفة، ولا سيما في صحيفة الحزب، فجوبهت بالعنف [illegible] والتهديد [illegible] متواصل على الحزب ساهم في حصول الطلاق بالثلاثة.

اتخذت قيادة الحزب الشيوعي العراقي، كما أرى، موقفاً سليماً في [illegible] النظام والمشاركة في مجلس الحكم بممثل واحد وبوزير واحد في الحكومة المؤقتة، و[illegible] الحزب في مختلف اللجان التي تشكلت وفي مختلف [illegible] التي يجتمع بها المجلس حالياً. ولا شك في أن هذا الموقف قد عرض [illegible] النقد من بعض الشيوعيين وأصدقاء الحزب [illegible] التعاون مع سلطة الاحتلال، رغم أن الحزب قد رفض [illegible] الاحتلال لأنه كان غير شرعي. ولكن الظاهرة [illegible] في نشاط الحزب في إطار التحالف ظهرت منذ [illegible] في الشهر الأخيرة، فلم يجد هناك النقد العلني المطلوب لمجلس الحكم لا [illegible] ولا بعض أعضاء المجلس ولا لسلطة الاحتلال [illegible]، رغم وجود الكثير مما يستوجب النقد من جانب حزب شيوعي. وهذا الموقف ينبع من [illegible] كما يبدو لي [illegible] رغم المواقف التي ترتبت عليها في السابق، بأن النقد الذي يوجه لأحد الأعضاء أو المجلس أو الأحزاب المشاركة فيه [illegible] يمكن أن يقود إلى توتر في الأجواء والعلاقات [illegible] التحالف، وهو ما يحرص الحزب الشيوعي العراقي على [illegible]. ولكن السؤال [illegible] الذي يطرح نفسه [illegible] ممارسة النقد الموضوعي البناء والعلني والجاهر مع الجماهير لتصحيح التحالفات السياسية القائمة لم [illegible] العمل [illegible] وأن المطلوب هو مصادرة الشعب والوطن؟ [illegible] تجارب عشرات السنين على أن النقد العلني والجاهر [illegible] مع الجماهير ومع الأحزاب المتحالفة لا يقود إلى الخراب في العلاقات، بل [illegible] إلى تعزيزها وتطويرها [illegible] خاصة [illegible] أنهم يرفضون [illegible] لا يعني التفتيش والإساءة، بل يعني البحث وتحقيق الفهم الجيد وتعزيز المسيرة. وعلى الآخر [illegible] العلني الصريح والموضوعي إزاء الحزب الشيوعي وإزاء بقية الأحزاب والقوى السياسية. إن علم ممارسة النقد [illegible] من الحزب الشيوعي، كما أرى، مسؤولية وتبعات القرارات الخاطئة التي تتخذ في المجتمع أو لجزء منه، خصوصاً [illegible] كان الحزب الشيوعي يعرفها [illegible] عليها.

كما أن عدم كشف تلك الأخطاء من جانب الحزب الشيوعي والسكوت عليها يعرض الحزب إلى نقد الجماهير السليم وإلى عزلته عن تلك الجماهير التي تؤيده [illegible] الواقع في العملية الحالية إلى خسائر [illegible] في سمعة وموقف وسياسات وجماهيرية هذا الحزب. كما أنه يحمله [illegible] لا يعترض [illegible] أن السكوت يفسر على أنه علامة الرضا أو التواطؤ غير حاصل أصلاً. وهذا الأمر حصل بشكل ما أيضاً [illegible] الحركة الكردستانية أو [illegible] في الحكم في كردستان رغم أن قيادة الحزب حاولت ممارسة بعض النقد [illegible] الحزب الشيوعي الكردستاني [illegible] إذ أن الأخير لم يعد يمارس النقد [illegible] ولكن [illegible] الحزب الشيوعي لم يكن [illegible] مما يحتم الأحزاب الحليفة التخلص من أخطائها التي كان الحزب ينتقدها [illegible] والتي لم تكن قليلة [illegible] والأخطاء والنواقص [illegible] على قيادة الحزب الشيوعي العراقي كما أرى [illegible] الوقت [illegible] الذي ألحق [illegible] بالحزب الشيوعي العراقي خلال العقود [illegible] مع الجماهير أيضاً بصورة مباشرة أو غير مباشرة رغم بعض مواقفه [illegible] النضالية التي [illegible] والتي لم تعرفها الجماهير الشعبية أو حتى الأعضاء والكوادر الحزبية.

سوف لن أتناول الكثير من الأمثلة التي حصلت ولكني أعرفها خلال الشهور الأخيرة، ولكني سأتناول موضوعاً واحداً له أهميته الكبيرة جداً بالنسبة للمجتمع العراقي، وأعني به القرار الذي صدر عن مجلس الحكم الانتقالي أثناء رئاسة السيد عبد العزيز الحكيم له بغالبية [illegible] صوتاً [illegible] أصوات وغياب [illegible] من أعضاء مجلس الحكم الانتقالي عن اجتماع يوم 29/12/2003، حيث اتخذ القرار رقم 137 بإلغاء قانون الأحوال الشخصية وتطبيق الشريعة الإسلامية، وكما يلي نصه: «قرار (137) قرر مجلس الحكم بجلسته المنعقدة بتاريخ 29/12/2003 ما يلي:

1. تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما يخص الزواج والخطبة وعقد الزواج والأهلية وإثبات الزواج والمحرمات وزواج الكتابيات والحقوق الزوجية من مهر ونفقة وطلاق والتفريق الشرعي أو الخلع والعدة والنسب والرضاعة والحضانة ونفقة الفروع والأصول والأقارب والوصية والإيصاء والوقف والميراث وكافة المحاكم الشرعية (الأحوال الشخصية) وفقاً لفرائض مذهبه.
2. إلغاء كل القوانين والقرارات والتعليمات والبيانات وأحكام المواد التي تخالف الفقرة (1) من هذا القرار.
3. يعمل به من تاريخ صدوره.

السيد عبد العزيز الحكيم رئيس مجلس الحكم 29/12/2003»

لم يكن [illegible] حزب من الأحزاب السياسية العراقية [illegible] الحزب الشيوعي العراقي، على الشعب العراقي عن صدور مثل هذا القرار البائس، حتى عرف خلسة وعبر بعض القنوات الأخرى أو بأي طريق آخر، وبعد أن رفض السيد بريمر «[illegible]» التوقيع على هذا القرار، وبالتالي أصبح من حيث المبدأ ملغياً، وأعفى [illegible] أغلب أعضاء المجلس من مسؤولية النقد الشديد عليهم. ولكن وبعد الإعلان عن هذا القرار خرجت مجموعات من النساء العراقيات محتجات على هذا القرار وأدانت [illegible] منظمة نسائية احتجت على هذا القرار، وهو أمر طيب وسليم، ولكنه ما يزال بعيداً عن الحاجة الفعلية لإبراز الموقف الحقيقي للمرأة العراقية من مثل هذه [illegible] والتي لا تمس [illegible] تخص المرأة وحدها بل تخص الرجل أيضاً، تخص المجتمع بأسره [illegible] على المجتمع في [illegible] المقولات [illegible] الإسلامية على المجتمع وحسب المعلومات التي نشرت حتى الآن فقد صرح الدكتور عدنان الباجه جي رئيس المجلس الحالي أمام الوفد النسوي الذي التقى به بأنه يرفض هذا القرار ويعتبره غير صالح. كما أعلن [illegible] الطالباني عن موقف واضح وصريح من هذا [illegible]. كما طرحت الوزيرة السيدة نسرين برواري وهي ممثلة [illegible] الكردستاني في الحكومة موقفاً واضحاً ومماثلاً عبرت فيه عن موقف حزبها المعارض للقرار من خلال ترأس الوفد الاحتجاجي. وقد شاركت [illegible] من الحزب الشيوعي العراقي في الوفود المحتجة إضافة إلى [illegible] خاصة مثلاً، كما شاركت السيدة هناء إدوار عن جمعية الأمل.

وخلال هذه الفترة كتب السيد سمير عبيد مقالاً نشره في موقع كتابات على الإنترنت تحت عنوان «[illegible] أسرار القرار رقم (137) لمجلس الحكم [illegible]» [illegible]: [illegible] يتهم فيه الحزب الشيوعي العراقي بالموافقة في اللحظة الأخيرة وفق مساومة معينة على نص القرار [illegible] التوازن [illegible] أصوات [illegible] أصوات مع القرار وأن [illegible] التي جرت [illegible] إلى موافقة الحزب الشيوعي على القرار وأصبح [illegible].

لا شك بأن هذا المقال يخالف الحقيقة وأكثر من كونه غير دقيق، بل [illegible]. إن [illegible] أن أقول [illegible] إلى الكاتب المذكور لأن المعلومات المتوفرة لدي تؤكد بأن ممثل الحزب الشيوعي العراقي قد صوت ضد هذا القرار. ليس الغريب في أن تصدر أكاذيب عن [illegible] كاتب في هذا الصدد في محاولة [illegible] الإساءة إلى موقف الحزب الشيوعي العراقي في إحدى القضايا المركزية لنضاله الطويل وهي [illegible] قضية المرأة، ولكن الغريب هو أن الحزب الشيوعي العراقي [illegible] لم يطرح موقفه الواضح ضد القرار على الملأ حتى اللحظة، كما فعل السيد الدكتور عدنان الباجه جي أو السيد الأستاذ جلال الطالباني أو السيدة نسرين برواري، كما لم يطرح تكذيباً لما جاء في مقال الصحفي الذي نشره سمير عبيد [illegible] عن الإعلام المركزي للحزب مثلاً. في الأمر يحتاج إلى أكثر من تكذيب، إنه يحتاج إلى رفع دعوى قضائية ضد سمير عبيد لتهمة نشر معلومات كاذبة [illegible] متعمدة للإساءة إلى الحزب الشيوعي العراقي. إن هذا الموقف غير مفهوم ويصعب أن يفهمه [illegible] الجماهير أيضاً ما لم يبادر الحزب الشيوعي إلى إعلان موقفه صريحاً وواضحاً [illegible] على الملأ لتكذيب الخبر المنسوب إليه وإدانة القرار، إذ إن في ذلك مسؤولية كبيرة، خاصة وأن التفسيرات حول هذا الموقف اتخذت الآن أبعاداً غير معقولة بعد أن ربط سمير عبيد الأمر بحصة الشيوعية في مجلس الحكم الانتقالي والموقف الطائفي... إلخ. أعتقد أن من واجب الحزب الشيوعي إعلان مثل هذا الموقف [illegible] لنضال المرأة من أجل حقوقها ولمنع التشكيك بالحزب بسبب ما أثاره سمير [illegible] من حجة على [illegible] الإنترنت في أوروبا عموماً. إن [illegible] التي لا ترد في هذا الصدد هي أن السكوت يعني الموافقة على القرار أو يعني التواطؤ وهو غير صحيح، ولكن على الحزب نفسه أن يتحسس للتعليقات الجارية في الساحة الأوروبية والتي ستنتقل حتماً إلى الساحة العراقية، ما لم تكن قد انتقلت من هناك أصلاً.

مأزق المرأة العراقية وقانون الأحوال الشخصية

د. عبد الوهاب حميد رشيد

أ. مأزق المرأة*

لا تختص هذه الأزمة بالمرأة في حد ذاتها، بل هي أزمة اجتماعية عامة [illegible] حركة التحديث الاجتماعي في العراق رغم [illegible] في المرحلة الانتقالية لعصر النهضة منذ العقد [illegible] من القرن العشرين (الاحتلال البريطاني للعراق 1918). لا [illegible] في هذه المراحل [illegible] على مدى أكثر من [illegible] عقود [illegible] مرحلة التغريب والاحتلال على نحو ما حصل في معظم القرن العشرين.

وإذا كانت أزمة المرأة الاجتماعية العراقية قد [illegible] في الصراع بين [illegible] الحضارة [illegible] القبائل وحضارات البداوة [illegible] من الصحراء، بحيث تشكلت [illegible] والعكس صحيح في مثل هذه المقارنة، [illegible] الوجه الآخر للأزمة الاجتماعية العراقية [illegible] في الصراع التاريخي بين [illegible] الحضرية [illegible] من حيث مكانة المرأة في سلم الترتيب الاجتماعي العراقي.

يتجسد مأزق المرأة العراقية في التمايز الحاد بين [illegible] الرجل لصالح الأخير في الحقوق القانونية والعلاقات الاجتماعية [illegible] والقانونية. ولم تأت هذه المشكلة قاصرة على المجتمع العراقي، بل تمتد [illegible] المجتمعات العربية والإسلامية عموماً. ما [illegible] أن هذه المشكلة هي أكثر [illegible] وتصلباً وعمقاً [illegible] الاجتماعية الموروثة في المجتمع العراقي لأسباب [illegible]: وإذا ما تذكرنا هذه [illegible] لحضارة العراق [illegible] المتحضرة [illegible] زمنية تزيد على [illegible] آلاف عام. و[illegible] خضوع المجتمع العراقي [illegible] منذ [illegible] وسقوط بغداد (1258) والتي تميزت [illegible] الحضاري وسيادة القيم البدوية الطاغية.

وقبل الحديث عن مأزق المرأة العراقية، علينا أن نتذكر منذ البداية، أن الغرض هنا ليس الدعوة إلى الحرية الجنسية [illegible] القيم الاجتماعية، بل الدعوة لإعمال الفكر في مشكلة اجتماعية [illegible] على الأقل [illegible] علاوة على محاولة إثارة [illegible] درجة من المرونة [illegible] الحضارية في التعامل مع هذه المشكلة [illegible] بعيداً عن التحجر و«غسل العار» [illegible] داخل الوطن العراقي بل تتعداها إلى العراقيين في المهجر خاصة بلاد الغرب.

من المعروف أن استمرار الوجود البشري يعتمد على أربعة مصادر هي: الهواء، الماء، الغذاء والجنس، [illegible] خضوع هذه المصادر لممارسات الإنسان الطبيعية [illegible] البشري، [illegible] ممارسات غير مكتسبة، بل طبيعية [illegible] فالإنسان يتنفس الهواء ويشرب الماء ويأكل الغذاء كما يفعل الحيوان [illegible] وكذلك الحال مع الجنس [illegible]. ولأن العناصر الثلاثة الأولى (الهواء، الماء والغذاء) حاجات [illegible] حياة الإنسان [illegible] حاجته إلى هذه العناصر [illegible] على حياته [illegible] الوجود الحضاري [illegible] الاجتماعية [illegible] على كيفية ممارسة [illegible] (الجنس) [illegible] طبيعية في الإنسان، كما في الحيوان، إلا أنه خضع لهذه الطقوس [illegible] الاجتماعية [illegible] وذلك أن الجنس حاجة طبيعية ملحة، وتخص حفظ الوجود البشري ككل وليس مجرد وجود الفرد [illegible] بكلمات أخرى، إن الممارسة [illegible] حاجة الإنسان، المجتمع إلى الجنس [illegible] ضرورة إشباعها في كل [illegible] وجوده [illegible] هذه الممارسة [illegible] خضوع الجنس لكافة القيود والقيم الاجتماعية ذات الصلة بالممارسات المكتسبة.

ومع ذلك وكما في بقية المصادر [illegible] وجود الإنسان، [illegible] الجنس البشري [illegible] مع ولادة الإنسان، وهذا ما تؤكده الأديان [illegible] الدين الإسلامي في قصة آدم وحواء (رجل وامرأة) [illegible] بالغريزة الطبيعية للجنس وحق الإنسان في ممارسته [illegible].

[illegible] الجنس (الزواج) [illegible] آدم وحواء [illegible] وهذه [illegible] الطبيعية [illegible] بالعلاقة [illegible] الجنس [illegible].

وكان المجتمع العراقي [illegible] الحضارات [illegible] الجنس [illegible] المجتمع [illegible] الحضاري [illegible] للعراقيين، هذه [illegible] في [illegible]:

* نظرة الاحتقار [illegible] لعمل المرأة في المنزل.

* نظرة الانحطاط [illegible] في القبيلة.

* تعظيم «الرجولة» ممثلة في القوة، الحمية والمنزلة الرفيعة لمقاتلي القبيلة.

* [illegible] (حسب تعبير عالم الاجتماع العراقي الدكتور علي الوردي).

* وهذه النظرة الاجتماعية [illegible] الجنس التي [illegible] الجنسية [illegible] (الرجل) وبين المفعول به [illegible] (المرأة)، خلقت بدورها القاعدة المركزية للتمايز الاجتماعي [illegible] بين الجنسين لصالح الرجل بما في ذلك حق الزواج والطلاق والإرث [illegible] والواجبات الاجتماعية والقانونية.

من هنا جسدت [illegible] التراث البدوي [illegible] «[illegible]» [illegible] هذه القيم [illegible] الرجل [illegible] حتى [illegible] على [illegible].

ورغم أن هذه القيم [illegible] الحضارية الجديدة [illegible].

ملأ الرجل [illegible] المرأة عن الزوجية [illegible] في شخصيته تجاهها.

[illegible] الاجتماعية [illegible] العراقيين [illegible] مثلاً.

وهكذا ارتبط الجنس بالمرأة [illegible] نظرة اجتماعية [illegible] خلقت كل [illegible] التمايزات الاجتماعية بين [illegible] بالسلطة (الرجل) والآخر [illegible] (المرأة)، من هنا [illegible] للمرأة [illegible] الاجتماعية [illegible].

[illegible] مأزق المرأة [illegible] في المجتمع [illegible] الحضاري [illegible] دور الرجل في المجتمع [illegible] والتحول [illegible] المرأة [illegible] الاجتماعية [illegible] الحضارية [illegible] الاجتماعية [illegible].

[illegible]:

[illegible] الاجتماعية [illegible] المرأة [illegible] الاجتماعية [illegible].

2. قانون الأحوال الشخصية**

صدر قانون الأحوال الشخصية رقم 188 لسنة 1959 في العهد الجمهوري الأول، وكانت المادة [illegible] للمرأة [illegible] الرجل في مجال [illegible] 1963 تم تعديل تلك المادة [illegible] في الشريعة الإسلامية [illegible] التعديل الأول رقم 11 لسنة 1963 [illegible] الرابع عشر من رمضان [illegible] (الحكم) [illegible].

[illegible] قانون الأحوال الشخصية [illegible] 1959 [illegible].

وحسب [illegible] 1980 [illegible] 1921-1932 [illegible] ص 20 (و) ص 108.

[illegible] (م/ 24/ ف 1) [illegible] (م/ 37/ ف 1).

خلاصة، إن قانون رقم 188 لسنة 1959 يحتوي على مواصفات متخلفة عديدة، نذكر منها:

1. يميز بين المرأة والرجل بخاصة في مجال الإرث حسب المرجعية الدينية، أي «للذكر مثل حظ الأنثيين».
2. يسمح بزواج الطفلة وزواج [illegible] وفق [illegible] التي تتعامل مع المرأة باعتبارها سلعة قابلة للبيع.
3. يفرق بين المسلم وغير المسلم من «أهل الكتاب» ومن [illegible] خارج الأديان الثلاثة الرئيسة.
4. يمنح الزوج [illegible] ولاية الطلاق.

[illegible] مثل هذا القانون [illegible] يساوي [illegible] بين المرأة والرجل [illegible] كافة أشكال التمييز بين الأديان والمذاهب؟ وهل [illegible] مثل هذا القانون من مجلس [illegible] في [illegible] الذهنية والدينية، [illegible] حق ممارسة السلطة [illegible] تحرير المرأة [illegible] تحرير الوطن [illegible] دستور حضاري؟

---

* تعتمد خلفية [illegible] على كتابات عالم الاجتماع العراقي المرحوم الدكتور علي الوردي وبخاصة: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث [illegible] الطبيعة البشرية.

** [illegible] قانون الأحوال الشخصية وتعديلاته [illegible] المكتبة القانونية [illegible] بغداد، 1988.

زاوية

تعزية خاصة بصدام

محمد حسين الاعرجي

لم أفرح بإلقاء القبض على صدام حسين فأمرٌ يخصني، ولو لم يكن من [illegible] إلا أنني اغتربت عن بلادي، كما غُيّب ملايين الشرفاء من العراقيين بسبب وجوده على أرض بلاد ما بين النهرين لكان في ذلك كفاية، وما يزيد عن الكفاية.

وكنت [illegible] أن أسمي العراق بلاد ما بين النهرين، لأنه بلاد الكاتب السومري [illegible] ذلك فخراً، ولكن [illegible] لا [illegible] وإذاً أن أفرح بإلقاء القبض على صدام حسين، كما قلت «أمر يخصني» ولكن فرحتي لم تكن كاملة.

ولا [illegible] أحد أنني أشمت بمصيره، أو مصير سواه من الطغاة رغم أن [illegible] الشماتة [illegible].

لم أشمت، ولكن [illegible]، بل أتقدم بالتعزية الخاصة الحارة العميقة، وذلك شعور إنساني. إلى أهله الكرام وإلى أعضاء القيادة القطرية من حزبه، وإلى أعضاء القيادة القومية، وإلى كل «المثقفين» العرب ممن انتفخت أرزاقهم بمصيره الذي كنا نراه [illegible]، ولم يكونوا يريدون أن يصدقوا رؤيتنا!!

ولكنني أريد من [illegible] من أحد، وإليكم التفصيل على أي التعزية، [illegible] فأقول:

لقد أخجلنا كثيراً نحن العراقيين أن يحكمنا بائع [illegible]، وأن [illegible] شرفاً، وسكتنا، كما تسكت الحرة حين تغتصب بزواج لا ترضى عنه.

ولقد أخجلنا كثيراً نحن العراقيين أن يحكمنا نائب عريف وسكتنا، كما تسكت الحرة حين تغتصب بزواج لا ترضى عنه.

ولقد أخجلنا كثيراً نحن العراقيين أن يحكمنا [illegible] كانت كل عبقريته العسكرية أن عيّن «ضابط [illegible]» في وزارة الدفاع وكفى. وكفى، فهل تريدون أن أعدد الأسماء، أم يكفي هذا؟

أما أن يخجلنا صدام حسين بهذه الطريقة فذلك ما لا نسكت عليه:

جحر تحت الأرض، أنظف من سرير، ومائدة عليها من الفواكه: أصابع موز آيل للعفن، وخيار [illegible]، ونصف صندوق «[illegible]» أعني بذلك ما [illegible] «[illegible]» [illegible]» والفرح على العراقيين أن [illegible] منذ يوم [illegible] كانون الأول صدام [illegible].

أخجلنا صدام بهذه الطريقة الذليلة، ولذلك [illegible] حين لم يجدوا له من مسوغات في هذا الاستسلام الشائن.

أما هو فقد أخجلنا [illegible] حين رأى أن تكون له لحية وخطها الشيب، [illegible] ثم يكون شعر رأسه أسود، وسخاً، أشعث. أترى أن الذي لم [illegible] صبغة شعره قد اصطحب معه إلى جحره عبوة صبغ يكون قد نسي أن يشتري مشطاً يمشط به الشعر؟ ثم نسي أن من الشيب لحيته كي يكون انسجاماً مع الحلاقة [illegible]؟! [illegible]!

ثم ألم يخجل أن يقبل طبيب عسكري أمريكي شعر رأسه ويبحث عما فيه من قمل؟ ألم يخجل هذا الذي [illegible] الأمور، و[illegible] في أوائل حكمه [illegible] أن [illegible] العراقيين [illegible] يجلسون حين [illegible] في «مراحيض»؟ ألم يخجل؟!

[illegible] ولله [illegible]!! و[illegible] ابن خلدون من قبره يرى صحة نظريته في [illegible]!!

وخجل آخر مخزٍ هو دفاع بعض المثقفين من نظام الطاغية الساقط، أو المخدوعين به عن استسلامه، فهم من قبيل أنه كان مخدراً، وأن [illegible] مقاومة «[illegible]» [illegible] خرافة، وسقط فيها [illegible] شهيداً، و[illegible] جريحاً»، وذلك خجل لا أقوم بوصفه الآن. نعم، لا أقوم بوصفه الآن، حتى لو كانت [illegible]. لأنه لو كان لهم أدنى مسكة من عقل لساءلوا أنفسهم أن [illegible] أسلم بغداد بمثل هذه السهولة؟!

أما كان بإمكانه أن يقاوم حتى يقتل فيحفظ لنا شيئاً من شرفنا العراقي الضائع كما حفظه لنا الشهيد عبد الكريم قاسم؟ هذا سؤال.

وسؤال ثانٍ هو: أترى أن الذي لم ينس أن يوصي عبيده بشراء [illegible] «[illegible]» [illegible] لم ينس أن يوصيهم [illegible] بشراء [illegible] يقطع بها أحد شرايينه حين ينفرد بنفسه في مرحاض بعد صحوته من التخدير؟ أو كان لديه حل آخر سهل جداً هو أن يأمر عبيده حين أوصاهم بشراء عبوة صبغ شعره أن يشتروا معها حاجة صغيرة من سم فيتجرعها.

لن أزيد في [illegible] إلا أنني أريد أن أقول شيئين أولهما: أن هذا هو [illegible] نحن العرب فإذا سقطت بغداد على يد هولاكو فإنما سقطت بسبب خيانة ابن العلقمي، وإذا سقطت على يد جورج بوش فإنما سقطت بسبب خيانة [illegible] التكريتي، وإذا سلم صدام نفسه صاغراً ذليلاً فإنما سلم نفسه بسبب خيانة زوج [illegible] أو أنه كان مخدراً.

[illegible] أصحاب هذه [illegible] جميعاً أن هذه هي طبيعة الدكتاتوريات، فقد روي عن الجنرال فرانكو دكتاتور إسبانيا أنه حين احتضر كان يغيب عن الوعي ثم يفيق، وفي إحدى [illegible] سمع ضجة فرح الشعب الإسباني بقرب [illegible] فسأل طبيبه عنها فأجابه:

لقد حضر الشعب الإسباني ليودعك. فما كان من فرانكو إلا أن سأل الطبيب:

ولكن إلى أين سيرحل الشعب الإسباني؟ وهكذا هو فرانكو العراق، إذ لم [illegible] أنه سيلقى القبض عليه، وأنه سيكون شعره أشعث، وأن وجهه الكريه سيقابل [illegible] حذاء جندي أمريكي لأن [illegible] لم يستطع أن [illegible] من [illegible] الحفرة إليه، بعد أن كان صدام [illegible] أيام [illegible].

وكان أحزنني أن هذا الرئيس الفذ، كما يزعمون، أشار إلى الطبيب الأمريكي وهو يفحص أسنانه لكي يتأكد من هوية الحمض النووي، أشار إليه أنه نسي أن يفحص الضرس الأخير من [illegible]، ولكن [illegible] العربية أنه كان يشكو من [illegible]، فهل رأيتم ذلاً أحقر من هذا الذل؟

ومع هذا أنا حزين جداً أن يلقى عليه القبض بهذه الطريقة، و[illegible] أبا بكر الخوارزمي [illegible] فأقول [illegible] العروبة وهو في حكم [illegible]:

لقد أخجلتنا حياً وميتاً   فقل لي أي [illegible] الرشيد؟

ولا بد أن يجد [illegible] مسوغاً لحزني على أسر هذا الدكتاتور [illegible] بهذه الطريقة أنه سخر [illegible] نحن العراقيين أحد الصحفيين [illegible]: «[illegible] صدام حسين يوم لا [illegible] أن يسقط أكثر مما [illegible] صدام نفسه». وحزين أنا الآن للذين [illegible] من عرب وعراقيين [illegible] نصرة له:

«كل العراق بلادي   صدام عز بلادي»

ثم يضيفون إلى الهتاف: «و[illegible] عادي».

و[illegible] لم يضيفوا لم تر أحداً منهم في ساحة عامة يصب النفط على جسده، ثم يحرق [illegible]، كما فعل، مثلاً، نفر من [illegible] يوم [illegible] أوجلان بغض النظر عن [illegible]. [illegible] إخلاصهم له، [illegible] جبناء أحقر من جبن «الرفاق» هذا؟!

رحمك الله أبا الطيب يوم قلت:

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنزالا